ليتها كانت .....!

خارج القاعة التي تجلس فيها لجنة الامتحان ، كانت تسود بين المتسابقين حالة من الخوف والفزع ، بدا ذلك واضحا في حركاتهم وأفعالهم ، منهم من يقطع مسافة الأمتار العشرة التي أمام حجرة اللجنة ذهابا وإيابا دون توقف ، ومنهم من راح يقوم بغناء بعض المقاطع من الأغاني المشهورة استعدادا لأدائها أمام اللجنة وتعالت الأصوات حتى لا نستطيع أن نميز من بينها قولا بعينه ، ولم تتحمل بعض المتسابقات لحظات الانتظار المخيفه ـ نهارت دموعهن ورحن يتشبثن بمن حولهن .. وهناك على يمين القاعة تحت شجرة عجوز أسقط الخريف ما عليها من أوراق فبدت التجاعيد في جذعها الضارب في أعماق الزمن عروقا نافرة جافة كأنها ظمآن يلهث من أجل قطرة ماء .... تحت هذه الشجرة جلس محمد مسندًا ظهره الفتيّ إليها ، ممددًا رجله اليمنى إلى أقصاها ، ثانيا اليسرى ، واضعا ذقنه عليها بينما يده اليمنى تحمل حصاة تلو حصاه ، يحملها بيد ويتأملها لحظة ، ثم يلقيها أمامه مصوبا إياها إلى المجهول الذي لا يكاد يتبين ملامحه ..... أمه تجلس بجواره تربت بيدها بين الحين والآخر على رأسه تشد من أزره ، وتعضد من جانبه ، فيرنو إليها بعين ملؤها الحنان والبر، ثم يتناول يدها ويضعها بين يديه ويرفعها إلى فمه ويقبلها .

نودي اسمه في مكبر الصوت الموجود أمام القاعة ، فانتصب واقفا ، ووقفت معه أمه، وهي لا تدري سبب وقوفه ، فأشار إليها إشارة جعلتها ترفع يديها إلى السماء ضارعة تدعوله .

تقدم محمد وولج من باب الحجرة المفتوح ...أصبح في مواجهة اللجنة المكونة من كبار المطربين والنقاد ، عرفهم بنفسه ثم تقدم خطوة ليقف في وسط الدائرة المرسومة على أرض الحجرة . وقبل له بصوت آمر :

" أسمعنا ما تريد يا سيد محمد " .

ارتفع صوت محمد بالغناء ، وراح يردد مقطعا من إحدى الأغاني المشهورة ، كان قد حفظه جيدًا وتدرب على أدائه مرات ومرات ، انساب صوته عذبا ...يردد في أرجاء الحجرة بردًا وسلامًا على قلوب أعضاء اللجنة اعترتهم حالة من الطرب .....أرهفوا السمع معجبين ، وعلت الابتسامة وجوههم جميعا فصفقوا له ، وأجمعوا على أنه أفضل المتسابقين ، ووقعوا له فورًا شهادة التفوق وقدموها إليه ...استوقفوه يتناقشون معه عن بدايته في الغناء ، وأين غنّى ؟ومتى ؟ وفوجئ الجميع بامرأة في العقد الخامس من عمرها تندفع من الباب إلى داخل الحجرة وهي تشير إشارات غير مفهومة واتجهت نحو محمد تتحسسه بيدها فأشار لها بشهادة التفوق التي حصل عليها .....علت البسمة وجهها ، أصدرت أصوات غير مفهومة ...التفت محمد إلى أعضاء اللجنة قائلا : إنها أمي !!! فقال لها رئيس اللجنة : مبارك ؛ لقد فاز محمد . فنظرت إليه ولم تفهم ، فدمعت عين محمد وقال : العالم كله يسمعني إلاّ أمي ، لأنها صماء ! ..... لا تسمع ...!!

جالت دمعة حزن في أعين أعضاء اللجنة متأثرين بما يرون ، وبسرعة كتب أحد أعضاء اللجنة على ورقة كبيرة عبارة مضمونها :(محمد صوت عظيم) ، ورفع الورقة أمام أم محمد ، .....قرأتها .. قفزت من فوق الأرض .... عانقت ابنها محمد – وسط دهشة الحاضرين – بينما وضع محمد رأسه على صدرها الحاني ، وراح في بكاء شديد.

obeikandi.com